

أكبر الكبائر الإشراف بالله

قال المؤلف رحمه الله تعالى: باب: أكبر الكبائر الإشراف بالله. عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه رضي الله عنهما قال: { كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا: الإشراف بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور - أو وقول الزور - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئا فجلس فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت } . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: { اجتنبوا السبع الموبقات. قيل: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات } . لا شك أن الذنوب فيها كباثر وصغائر، فالصغائر هي المقدمات: النظرة مثلا والخطرة، والقليل من السرقة دون النصاب وما أشبه ذلك، وأما الكبائر فهي الذنوب التي ورد الوعيد عليها بعذاب أو غضب أو بلعنة أو بالنار أو بأنها من الموبقات أو بأنها من الكبائر. قال الله تعالى: { الَّذِينَ يَجْتَبِئُونَ كِبَائِرَ الْإِيمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ } فاللمم هو: المقدمات. ورد أن أبا هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: { العيان تزنيان وزناهما النظر، والأذن زناها السمع، واليد زناها البطش، والرجل زناها المشي، والقلب يهوى ويتمنى، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه } فجعل هذه تزني، ولكن لا يترتب على زنا العين ما يترتب على زنا الفرج. ثم أخبر الله تعالى بأن من اجتنب الكبائر غفر الله له الصغائر: { إِنْ تَجْتَنِبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ تُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ } وقد اختلف في الكبائر، وورد فيها أحاديث تدل على جنسها، ومنها هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: { ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ } يعني: بأعظمها { قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراف بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، وقول الزور - وكان أولا متكئا ثم استوى جالسا وأخذ يكرر - ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور، ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور } حتى تمنوا أنه يسكت. الإشراف لا شك أنه أكبر الكبائر؛ لأنه يحيط بالأعمال. قال تعالى: { لئن أشركت ليحبطنَّ عملك } وقال: { ولو أشركوا لحيطَّ عنهم ما كانوا يعمَلون } والشرك هو أن يدعى مع الله غيره، أو يرجى معه غيره، أو تصرف عبادة لغير الله كالرجاء، والخوف، والتوكل، والاعتماد، والاستعانة، والاستغاثة، والدعاء بجميع أنواعه، فمن صرف شيئا من أنواع العبادة للمخلوق فقد أشرك؛ دخل في هذا الشرك، والله تعالى لا يغفره { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ } ووسائله كثيرة. وعقوق الوالدين عصيانهما ومعاملتهما بقسوة لأن الوالدين لهما حق كبير على ولدهما؛ لإحسانهما إليه، فالعقوق هو العصيان والمعاملة القاسية، جعله من الكبائر، ورد فيه أيضا وعيد شديد مثل قوله صلى الله عليه وسلم: { يُغفر ليلة القدر إلا لأربعة: مدمن خمر، وقاطع رحم، وعاق، ومشاحن } هذه من كباثر الذنوب. شهادة الزور هي أن يشهد بشهادة كذب على شيء لم يشهده؛ سيما إذا ترتب على شهادته ظلم، يشهد عند القاضي وهو كاذب أن فلانا به كذا، أو أن هذا قاتل، أو أن هذا جاحد عارية أو ما أشبه ذلك؛ فيحكم بشهادته فيكون ظلما. هذه شهادة الزور، كذلك إذا شهد على هذه المرأة أنها زوجة لفلان وهو كاذب، أو شهد أنها راضية بزواجه وهو كاذب أو ما أشبه ذلك. وقول الزور هو الكذب، قال تعالى: { فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ } أي: الكذب الذي يترتب عليه مفاسد فهو من أكبر الكبائر. كذلك السبع الموبقات: يعني: التي توبق وتهلك من وقع فيها إلا أن يتوب منها، أو يتجاوز الله تعالى عنه، أو يأتي بما يكفرها. الشرك بالله يوجب دخول النار والحرمان من الجنة، قال تعالى: { إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ } وعيد شديد على من أشرك، ويعم ذلك الشرك الأكبر والأصغر، إلا أن الأصغر قد يخرج صاحبه بشفاعته الشافعين من النار بعد أن يمحص عنه. السحر من كباثر الذنوب، ومن السبع الموبقات؛ وذلك لأن الساحر مشرك؛ لأنه يعبد الشيطان، يتقرب إلى الشيطان حتى يساعده فينلبس بإنسان مثلا ويسرق إنسانا ويقلب هذا الإنسان حيوانا أو يصرفه عن أهله، أو يفرق بين المرء وزوجه. كيف يفعل ذلك؟ بدعاء الشيطان وعبادة الشياطين؛ شياطين الجن، فهو مشرك. قتل النفس يعني: بغير حق، إذا قتل مسلما بغير حق فذنبه كبير، قال تعالى: { وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤَمِّمًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَصَبُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنَةُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا } وقد اختلف هل للقاتل توبة؟ والصحيح أن القتل يتعلق به ثلاثة حقوق: حق الله تعالى يسقط بالتوبة النصوح، وحق أولياء القتل يسقط بدفع الدية أو بالقصاص، ويبقى حق القاتل المقتول فإنه لا بد من أخذه في الآخرة، قال صلى الله عليه وسلم: { أول ما يُقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء } ومن جملتها القتل، فهذا القاتل إذا صدق التوبة وسلم نفسه وصدق فيما بينه وبين ربه فقد يغفره الله ويتحمل للقتل أجره. أكل الربا هو الرابع من هذه السبع، الربا الذي هو المراباة في الأموال، وأشدّها مضاعفة الدين على المدين؛ كلما حل الدين زاد فيه إلى أن يتضاعف، وأمثله الربا كثيرة، توعده الله عليه بقوله تعالى: { وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } أي: من تهاون بالربا وأكله ولم ينته توعده الله تعالى بهذا العذاب إذا لم يتب. الخامس: أكل مال اليتيم: اليتيم ضعيف ليس عنده قدرة على تخلص حقه؛ ولذلك يقول بعضهم: واحتل على مال اليتيم فإنه رزق هنيء من ضعيف الحال لا صوته يخشى ولا من سيفه والقول قولك في ذهاب المال فإذا كان ولي اليتيم غير محسن جحد مال اليتيم، وأكله، وأفسده فإن إثمه عظيم، قال الله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا } وعيد شديد، إلا إذا رده وتاب إلى الله تعالى. كذلك التولي يوم الزحف: يعني عندما يتقابل الصفا من المؤمنين والكفار في القتال؛ فالذي يذهب ويتولى ويحدث خلافا في صفوف المؤمنين، وبسبب انتصار الكفار عليهم ذنب كبير قال الله تعالى: { وَمَنْ يُولِهِمْ يُؤَمِّدُ ذُبْرَةً إِلَّا مُتَحَرِّقًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَرِّقًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَذُنُوبُهُمْ عَلَى اللَّهِ يَتَزَيَّوْنَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعْنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَشْهَدُ عَنْهُمْ أَسْتَهْمُ وَأَبْيَهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ يُؤَمِّدُ يُؤَقِّمُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ } فتوعده الله على ذلك بهذا الوعيد، والمراد بالمحصنات المؤمنات: العفيفات اللاتي أحسن أنفسهن ولم يكن فيهن تهمة للزنا فيرميهن إنسان، وكذلك رمي المؤمن؛ والمؤمنين من الرجال الذي يرميهم يدخل أيضا في هذا الوعيد إذا قذفهم بالزنا، قد جعل الله تعالى فيه عقوبة؛ عقوبة الذي يقذف المحصنات أو يقذف المحصنين عقوبتهم ثلاثة أشياء: { قَاجِلِدُوهُمْ تَمَازِينِ جِلْدَةً وَلَا تَقْلِبُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْقَاسِقُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا } فيجلد ثمانين جلدة على قذفه، وكذلك ترد شهادته، ويحكم بنفسه إلا إذا تاب. الأسئلة: س: والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد . بسم الله الرحمن الرحيم يقول السائل: حديث النبي صلى الله عليه وسلم: { لعن الله السارق يسرق البيضة فقطع يده } هل يجوز لعن صاحب الكبيرة المعين؟ لا يجوز لعن إنسان معين فلا يقال: لعنك الله يا فلان؛ أنت سارق أو أنت ملعون، ولكن من حيث العموم يقال: لعن الله السارقين، لعن الله الزناة، لعن الله الخائنين من حيث العموم، فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم لعن على كثير من المعاصي فقوله: { لعن الله أكل الربا وموكله } هذا لعن عام، وكذلك قوله: { لعن الله الراشي والمرتشي } هذا لعن على صفة عامة، { لعن الله المحلل والمحلل له } يعني: الذي يتزوج امرأة ليحلها بعد أن يطلقها زوجها، فهذا لعن على صفة فأما أن يقال: يا فلان أنت ملعون فلا يجوز. س: يقول السائل: هل يجوز زيارة المساجد السبعة وهل كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ذلك؟ ليست في عهده وإنما بنيت في عهد الترك؛ يمكن في القرن العاشر أو القرن الحادي عشر، تخلوا وقالوا إن المسلمين في الخندق لا بد لهم من مساجد يصلون فيها وهم في داخل الخندق فلا بد أن نجعل مساجد ونسبها بأسماء أهل الخندق، فبينا هذه المساجد وجعلوها سبعة، وادعوا أنها هي التي يصل فيها المسلمون لما كانوا محصورين في الخندق وهذا لا أصل له بل الصحيح أنهم كانوا يصلون جميعا. تلك المساجد متجاورة، ثم بعضها صغير فكيف يتفرون، أو كانوا يصلون مع النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عنه لما شغلهم المشركون عن أربع صلوات. يقول: { فقمنا إلى بطحان - يعني واد فيها بطحان - فصلى بنا الظهر ثم العصر ثم المغرب ثم العشاء في وقت واحد } لما شغله المشركون عن الصلاة في وقتها؛ فدل على أنهم يصلون جميعا، ولم يعين المكان الذي كانوا يصلون فيه. س: يقول السائل: حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: { الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة } فهل يعني أن النبوة جُرئت كما كانت الرؤيا في الماضي؟ الحديث صحيح ولكن اختلف العلماء في تفسيره، وكذلك أيضا أكثرنا في ذكر أنواع النبوات، والصحيح أن الرؤيا تكون من المبشرات ولكن لا بد أن يكون الرائي من أهل الصلاح ومن أهل التقى؛ الذي رأى هذه الرؤيا ولا بد أن تكون عليها آثار الصدق. فإن الذي يكذب في رؤياه يعد كذبه من الكبائر، وكذلك أيضا قد ورد في تفسير قوله: { لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } أن البشري هي الرؤيا الصادقة، وفي الحديث: { لم يبق من المبشرات إلا الرؤيا الصادقة } . س: هل يجوز للمرأة أن تصلي في بيتها وعليها ملابس خفيفة؟ وهل .. من الشرع تغطية قدمها؟ لا يجوز ولو لم يكن عندها أحد؛ لا تصلي إلا في ثياب ساترة تستر جميع بدنها إلا الوجه؛ تستر قدميها وكفيها وجميع بدنها. ففي حديث أم سلمة رضي الله عنها { قالت: يا رسول الله هل تصلي المرأة في الدرع الواحد؟ -أي: نفس الثوب- فقال: نعم إذا كان سابغا يغطي ظهور قدميها } أما إذا كان شفافا؛ يعني رقيقا يصف البشرة فلا تجوز الصلاة فيه لا للرجل ولا للمرأة إذا كان يظهر شيء من لون البشرة. س: يقول السائل: لدي جار متزوج ولا يذهب إلى المسجد ولا يصلي الصلاة .. وحاولت معه بشتى الطرق ولكنه .. نصحي .. أريد منكم .. الطريق الصحيح .. عليك أن تكرر النصيحة ولو بالهاتف، ثم عليك أيضا أن ترسل إليه من ينصحه من سائر الجيران ومن أهل الخير ومن إمام المسجد ومؤذن المسجد الذي حوله، ومن أصحابه ورفقائه يكررون عليه النصيحة، ويكررون عليه الموعظة سواء مقابلة أو مكتابة أو مهاتفة لعل الله أن يهديه، ثم إذا أصر على هذا الامتناع واستمر عليه، ولم يتأثر ولم يقل فلا بد من الرفع بأمره؛ يرفع أمره إلى أهل الحسبة إلى الهيئة وعندهم صلاحية أن يخبروه لأول مرة وبأخذوا عليه التعهد، ثم بعد ذلك إذا أخبروه، واستمر على فعله عندهم صلاحية أن يحبس وأن يجلد بما يرتد به، وهكذا يجب أن تتعاون مع جيراننا ومع المتهاوين بالصلاة، والله أعلم وصلى الله على محمد .